الفصل الرابع

كان أبو غريب مركز تعذيب صدام، مكاناً مرعباً درج على ابتلاع الناس وإخفائهم في جوف الحوت المظلم دون ترك أي أثر. أولئك الذين كان لديهم ما يكفي من الحظ ليغادروا المكان خلال عهده الذي دام ثلاثة عقود كثيراً ما كانوا يُبصَقون فاقدي الألسنة والآذان. يقال إن زبانية صدام أعدموا آلاف الناس في السجن الممتد على مساحة 280 فداناً من الأرض. بعد الغزو الأمريكي راح السجناء السابقون يروون قصص الرعب التي عاشوها وفُرضت عليهم في أبو غريب الذي كان يؤوي مجرمين عاديين، معارضين أو منشقين سياسيين، مقاتلين أجانب، وأناساً جرى كنسهم ببساطة في زحمة سورات غضب النظام المجنونة. ثمة سجناء، فاق عددهم العشرة آلاف أحياناً، تحدثوا عن مشاهدة الجلادين يضربون النزلاء حتى الموت بالهراوات والكوابل ثم يتركون الأجساد المتفسخة طعاماً للكلاب. آخرون أُعدموا شنقاً، بالكهرباء، أو بفرامات عملاقة تفرم أجساد الضحايا أشلاء.

كان السجن خالياً لدى توغل الجيش الأمريكي فيه في ربيع 2003 . كان صدام قد أطلق سراح السجناء الذين كانوا لا يزالون أحياء قبيل الغزو تعبيراً عن نوع من حسن النية التماساً لتعزيز التأييد للنظام. أقدم السجناء على إشعال

الحرائق وهم يغادرون، فيما سارع اللصوص إلى نهب الأثاث والمؤن. وبعد إسقاط صدام، قام الجيش الأمريكي باستخدام السجن لاحتجاز المعتقلين الأمنيين الذين اتهمهم الأمريكيون بالمشاركة في هجمات المتمردين، بإخفاء الأسلحة، بتنظيم وإدارة خلايا متمردة، أو بتمويل حركة التمرد. إن الجنود الذين تولوا حراسة السجن خلال خريف 2003 قالوا إنها كانت مهمة بالغة الصعوبة. كان السجن يتعرض للقصف الدائم بمدافع المورتار، وكان الجنود يعيشون في زنزانات قذرة في ظل ظروف بالغة القسوة. لم يكن يتوفر لهم لا وجبات ولا مياه اغتسال ساخنة. أما المعتقلون فقد كانت أحوالهم، كما علمنا فيما بعد، أسوأ بكثير.

انجذب اهتمام العالم نحو أبو غريب في نيسان/أبريل 2003 حين قامت قناة السي. بي. إس. بتفجير قصة قيام جنود أمريكيين بإساءة معاملة معتقلين في الحجز وإذلالهم جنسياً مع إطلاع الجمهور ووسائل الإعلام على سوء المعاملة، كان الجيش الأمريكي قد باشر تدابير إدارية جديدة رداً على الفضيحة التي كان قادة السجن في العراق قد علموا بها قبل أشهر. وتجاوباً مع صيحات احتجاج الجمهور، بادر الجيش إلى فتح أبواب السجن أمام وسائل الإعلام، عارضاً رحلات إلى المخيمات التي كان يقيمها لإيواء المعتقلين.

وحدات الجيش التي كانت في السجن لدى وقوع إساءة المعاملة في تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2003، كانت قد غادرت العراق عند وصولي أنا في أيار/مايو، بعد ستة أشهر لم يكن ثمة أشياء كثيرة يمكن التنقيب عنها في السجن عند ذلك المنعطف، غير أنني كنت حريصة على رؤية المجمع شخصياً، أقله لتوفير سياق معين للتقارير والقصص التي كنت سأكتبها عن ظروف السجن الجديدة كما عن جلسات المحاكمة القضائية الوشيكة.

قمت برحلتي الأولى إلى أبو غريب بعد محاكمة جيرمي سيفيتس العسكرية ببضعة أيام. قام الجيش بتنظيم رحلات حافلات خاصة بين المنطقة الخضراء

والسجن، الواقع على مسافة نحو عشرين ميلاً من بغداد، لخدمة جميع الصحفيين الراغبين بمن فيهم مئات الصحفيين العراقيين الذين كانوا يتذكرون أبو غريب بوصفه أحد أحلك رموز الإرهاب في ظل حكم صدام. حين كانت حافلتنا المعدلة تتدحرج على الشارع الرئيسي، مصحوبة بالعربات العسكرية، ذكرني المزاج بالمرة الأولى التي استقليت فيها عربة قطار مترو في واشنطن بعد الهجوم الإرهابي على البنتاغون في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. لدى مرور القطار بالبنتاغون كان الركاب يتوترون بصمت لرؤية السور المتهدم المتفحم للمبنى. لم يكن أحد ينبس ببنت شفة. وعند اقترابنا من سور السجن الإسمنتي الذي بناه متعهدون غربيون في الستينيات، كان الصحفيون العراقيون صامتين مثل ركاب القطار الواشنطني. من الخارج بدا أبو غريب أشبه بسجن نظامي نموذجي، معزول بمساحات من الحقول الجرداء وأدغال شجر النخيل.

كان المقدم باري جونسون، ذلك الرجل الرياضي الناحل، هو الناطق باسم الميجر جنرال جيوفري دي. مِلَّرْ، قائد عمليات الاحتجاز في العراق من آذار/مارس 2003 إلى شباط/فبراير 2004. كان ملر قد طلب من جونسون مرافقته إلى العراق. كان الرجلان قد عملا معاً في معسكر اعتقال الاستخبارات الأمريكية الكائن في خليج غوانتانامو الكوبي، وهو موقع خضع لقيادة ملر منذ خريف 2002 إلى أن نقله البنتاغون إلى العراق لإدارة السجون هناك.

أُعجبت بجونسون مباشرة. لم يحاول تدويخي، وهذه عبارة صحفية لوصف أي موظف علاقات عامة يحاول توجيه المراسل وجهة معينة. لم يقدم رواية منحازة. تحلى بالصراحة حول حوادث سوء المعاملة التي تمت في أبو غريب وحول جملة التحديات الباقية. كان دبلوماسياً لدى ملر، حريصاً على عدم انتقاد رئيسه المتطلب، الذي كان يمقت وسائل الإعلام وبدا منزعجاً من وجودها. في أيار/مايو 2004 كان أبو غريب سجناً محاصراً من قبل وسائل الإعلام، وبقي

ملر السد الصامد أمام طوفان المراسلين المطالبين بالمحاسبة والساعين إلى "خبطات" صحفية كبيرة.

في أيار/مايو، خلال زيارتي الأولى لأبو غريب، كان أكثر المعتقلين قد تم إيواؤهم في خيم كبيرة مسورة بالأسلاك الشائكة. كانوا يرتدون ملابس مدنية أو يلفون أوساطهم بالمناشف. الروائح المنبعثة من المخيم بدت أشبه بروائح دورة مياه عملاقة، والقمامة مكومة بالقرب من بعض الأسيجة. كانت الأرض وحلاً جراء تسرب الماء من تمديدات الحمامات. فريقنا الإعلامي سار خلف ملر عبر المخيم، كان المعتقلون يشيرون بأيديهم ويصرخون بالعربية لإسماع الصحافيين العراقيين، معلنين براءتهم ومطالبين بإطلاق سراحهم.

كنا نرتدي ستراتنا الواقية وخوذاتنا خلال الجولة لأن المتمردين كرروا قصفهم للسجن بمدافع المورتار. في إحدى الهجمات، في نيسان/أبريل 2004، قُتل اثنان وعشرون معتقلاً عراقياً لدى سقوط وابل من الصواريخ على السجن المكشوف. مع حلول ذلك التاريخ كان جميع المعتقلين قد نقلوا من مباني السجن الإسمنتية، من مجمعات الزنزانات التي كانت قد شهدت حوادث إساءة المعاملة. أكثر من تسعين معتقلاً جرحوا في الهجوم، مما دفع الجيش إلى وضع ملاجئ خرسانية في طول المخيم وعرضه ليلوذ المعتقلون بها في حال وقوع هجمات جديدة.

قام ملر بتسريب نبأ صغير في المؤتمر الصحفي الذي أعقب الجولة حين بلغنا بأن الجيش كان عازماً على إغلاق أبو غريب ونقل المعتقلين إلى سجن آخر في جنوب العراق معروف باسم معسكر بوكا. (تم إبطال الخطة في 2005، مع تورم أعداد المعتقلين إلى نحو عشرة آلاف، مما اضطر الجيش للإبقاء على أبو غريب لاحتجاز العدد الكبير من المتمردين المشبوهين فيه.) كنت الصحفية الأمريكية الوحيدة في المؤتمر الصحفي - فهناء علام كانت قد ذهبت لمقابلة

أقارب جاؤوا لزيارة معتقلين، وبدا الصحفيون العراقيون مهتمين بأوجه أخرى من القصة، بما فيها مزاعم السجناء التي سمعوها في أثناء التجول والتي ادعت أن السجناء أُجبروا على شرب المياه الوسخة. رد عليهم ملر قائلاً إن المعتقلين وحراسهم العسكريين يشربون من المصادر المائية نفسها التي هي مطهرة. بدت الصحافة العراقية متشككة. إذا كان أبو غريب سيغلق فعلاً، فقد أردت أن أكتب تقريراً عن معسكر بوكا. قبل المغادرة اتفقت مع جونسون على تمكيني من زيارة المكان في المرة المقبلة التي يخطط فيها الجنرال ملر للقيام بمثل هذه الزيارة.

بعد أسبوع واحد قفزت مستقلة طائرة من طراز سي ـ 130 وطرت مع ملر وجونسون إلى مطار البصرة، الخاضع لسيطرة القوات البريطانية. انتقلنا إلى مروحية نقل من طراز تشينوك للقيام بالرحلة الحارة المغبرة فوق ميناء أم قصر إلى بوكا. انشويت في مؤخرة الحوامة، وكان العرق ينعصر من قميصي الداخلي تحت سترتي الواقية، على الرغم من أن الطاقم ترك الطرف الخلفي للحوامة مفتوحاً لتمكين الريح من الدخول. تعمدت ألا أتعرى أمام ملر وحراسه الشخصيين البدينين المدججين بالسلاح. (لجميع الجنرالات في العراق حراس شخصيون، ولو لم يكونوا راغبين في ذلك. كان من شأن فقدان أحد الجنرالات في الحرب مع المتمردين أن يشكل انتصاراً معنوياً هائلاً للأشرار.) كانت الحرارة خارج الحوامة تزيد على 120 درجة، وكنا نتوغل في الصحراء، حيث كانت أميال من الرمل تفصلنا عن معسكر بوكا الذي أُنشئ لإيواء أسرى الحرب العراقيين في أعقاب الغزو الأمريكي. حمل المعسكر اسم إطفائي نيويوركي يدعى رون بوكا قضى في هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الإرهابية.

بدا معسكر بوكا كثير الشبه بأبو غريب بخيمه البيضاء المنصوبة للمعتقلين الذين كانوا يعيشون داخل حلقات من الأسلاك الشائكة. سمح لي الجنرال ملر بالسير خلفه لدى تفقده للمعسكر، غير أنه بقي حريصاً على خفض صوته حين كان يريد أن يكلم قادة المرفق حول أمور خاصة. اضطلع ملر بدور المداح. أراد

إضفاء إهاب مشرف على العمليات العسكرية على الرغم من أنه كان، هناك في واشنطن، متهماً بالتورط في اعتماد أساليب استجواب معينة في كل من غوانتانامو والعراق. كان البنتاغون قد أوفد ملر إلى العراق في أيلول/سبتمبر 2003 لتقويم عمليات الاعتقال والاستجواب العسكرية هناك. استناداً إلى زيارته، رفع عدداً من التوصيات، مستمدة بأكثريتها من الممارسات في غوانتانامو، بما فيها فكرة وجوب تعاون الشرطة العسكرية والمحققين تعاوناً وثيقاً. والجنود المتهمون بفضائح إساءة المعاملة في أبو غريب أفادوا بأنهم كانوا ينفذون أوامر محققين عسكريين طلبوا منهم التشدد مع السجناء، مما أدى إلى تمريغ ملر في الوحل. لم يكن ملر متلهفاً للتحدث معي عن دوره في تسوية الأوضاع في أبو غريب، وأنا لم أطالبه بإلحاح في تلك الزيارة الأولية إلى بوكا. لم يكن ليبوح بأي شيء لمراسلة لم يكن يعرفها أو يثق بها، يكمن مفتاح أي سبق صحفي جيد ـ وأنا كنت أرى قصة أبو غريب على أنها فرصتي ـ في غربلة المصادر ونخلها. كنت سأكتب عدداً من قصص كرة القدم، عدداً من السيناريوهات المثيرة ذات الألوان الزاهية عن الجنود المكلفين بحراسة السجناء، آملة في أن يبدأ ملر بالانفتاح علي، وصولاً إلى الإمساك بخيوط قصص أدسم وأكثر أهمية. وبالفعل فإن هذه الأفلام كانت قصصاً مهمة أيضاً. فرغم الفضيحة، كان عدد كبير من الجنود في العراق يحاولون القيام بالشيء الصحيح. أولئك المكلفون بحراسة المعتقلين في صيف 2004 كانوا يُلامون ويوضعون في سلة واحدة مع الجنود السبعة المتهمين بإساءة المعاملة. كان الإنصاف يقضي أن تتم الكتابة عن نضالهم في سبيل حفظ النظام في المعسكرات الملطخة بأوحال عار فضيحة إساءة المعاملة، التي كانت، دون أدنى شك، صهريجاً هائلاً من سائل شديد الاشتعال تم دلقه فوق كومة جمر حركة تمردية غاضبة.

في بوكا، حاولت أكثر الأحيان أن أنأى بنفسي عن ملر والسعي إلى تمضية الوقت، بدلاً من ذلك، مع جونسون. كان استنتاجي يقول بأن الوصول إلى عالم

الجنرال مشروط بالتوغل في عالم معتمده الإعلامي. بين المقابلات مع الحراس والقادة الآخرين في بوكا، كنت أنتظر بفارغ الصبر مواعيد وجبات الطعام في قاعة الاجتماعات: ذلك المرفق الذي أطلق عليه اسم المطعم "ديفاك DIFAC في جل "مطاعم" العراق ثمة بارات للسلطة غنية بالخس الطازج، ترف نادر بالنسبة إلى صحفية نباتية مضطرة لتناول وجبات عراقية محلية ثقيلة من المنطقة الخضراء. أبلغت جونسون باستعدادي للكتابة عن أي شيء يريده مقابل حصولي على سلطة الخس الطازج. ليلاً، حين استأنف ملر جولته على معسكر الاعتقال، لم أجادل. انسحبت إلى خيمتي الخالية في الطرف البعيد من المعسكر لخربشة ملاحظاتي. كان جونسون في خيمة خالية بجانب خيمتي. قبل التسلل زحفاً إلى فراشي، علّقت فردتي حذائي برباطيهما بحبل كي لا تعشش فيهما العناكب الصحراوية وأنا نائمة. أمضيت ليلة غير مريحة في الحر، منتظرة شروق الشمس للحلول محل القمر الصحراوي القرمزي. حين غادرنا في اليوم التالي للعودة إلى بغداد، كنت متوفرة على قصة محترمة عن المعسكر ولكن دون أي خبر مثير. بعد ظهور مادتي عن بوكا على صفحات الجريدة، اتصل بي جونسون لإبلاغي بأن الجنرال ملر كان راضياً عن تقريري. كان سلوكي الجيد قد أعطى ثماره. آن وقت الانطلاق إلى مشروعي. سألت جونسون عما إذا كنت قادرة على قضاء ليلة في أبو غريب أواخر ذلك الأسبوع. كان الجيش يطلق سراح مئات المعتقلين عدداً من المرات كل أسبوع منذ الشهر الماضي. سبق لي أن قمت بتغطية أحد هذه الأحداث من خارج السجن. نموذجياً، كان الجيش يعلن عن عملية إطلاق سراح، وكان معشر الصحفيين ينطلقون من بغداد إلى بوابات السجن لإجراء المقابلات مع الأقارب المنتظرين للحافلات المزدحمة بالأحبة والمعيدة للمتمردين إلى بلداتهم الأصلية. كان من الصعب بالنسبة إلى الأقارب أن يتصوروا خروجاً فعلياً لأي شخص من أبو غريب، لأن ذلك كان نادراً في ظل صدام. ولأننا لم نكن نستطيع التحدث مع المعتقلين في الرحلات المنظمة إلى

السجون، فإن هذه كانت فرصة مناسبة لسؤالهم عن أشكال إساءة المعاملة المثارة. مع مرور الزمن، أدركت أن بعض المعتقلين كانوا ببساطة يصطنعون قصصاً خيالية لم تحدث على أرض الواقع. لم ألتق معتقلاً واحداً أقر بأنه مذنب. غير أن هذه المقابلات كانت توفر الفرصة الوحيدة للتحدث مع متمردين متهمين وأقاربهم وموازنة تلك القصص بنظيرتها التي كان الجيش يزودنا بها عن الحياة في معسكرات الاعتقال.

بعد اختطاف نك بيرغ وقتله في أيار/مايو، صار الصحفيون أكثر حذراً إزاء تغطية عمليات إطلاق سراح المعتقلين، التي كانت تتم خارج السياج، على امتداد مكشوف من الشارع السريع الواصل بين بغداد والفلوجة المضطربة. في الحقيقة، كنا أكثر حذراً بالنسبة إلى كل شيء، بالنسبة إلى التردد على أمكنة من شأنها أن تيسر التعرف على هوياتنا الأجنبية، بالنسبة إلى المبالغة في إطالة المقابلات في الشارع، بالنسبة إلى خطر الوقوع بأيدي المتمردين على طرقات السفر. كنا أهدافاً سهلة، مكومين جميعاً في بقعة واحدة على مزقة الطريق الخطرة هذه. كان من السهل تعقبنا إلى بغداد، رمينا بالرصاص أو اختطافنا. تعرض دان وليمز، مراسل **البوست** في روما الذي كان مناوباً في العراق حين وصلت في أيار/مايو، لمجابهة مرعبة على هذه الطريق أوائل حزيران/يونيو. كان دان وسائقنا فلاح عائدين إلى بغداد من رحلة صحفية إلى الفلوجة حين وقعا في كمين عدد من المسلحين. يعود فضل بقائهما على قيد الحياة لثبات يد فلاح القوية على مقود سيارة السباق المصفحة. حين أمطر المسلحون السيارة بوابل من الرصاص، فجروا الإطارات، ولم يتركوا الرجلين إلا لأنهم قدروا أنهما كانا من الموتى حين توغلت السيارة في بقعة مكسوة بأعشاب طويلة. سارع المسلحون إلى مغادرة المكان مقتنعين، على ما يبدو، بأنهم حققوا هدفهم. نجح فلاح في سوق السيارة المعطوبة، وفيها دان، إلى سجن أبو غريب حيث قام أطباء

الجيش بتضميد جراحهما وبتزويدهما بفراش ينامان عليه فينسيان عناق عزرائيل.

أدى الحادث إلى زرع الخوف في قلوب جميع العاملين في المكتب، وحين انطلقت مع مترجمنا بسام وسائقنا غزوان لتغطية عملية إطلاق السراح الأولى للمعتقلين، أوصاني مهند بعدم النزول من السيارة والتسكع. قلت بيني وبين نفسي: **سأنزل من السيارة بالطبع**. لم أرد أن أكون شديدة الحذر إلى درجة تمنعني من القيام بما أُرسلت من أجله ـ كتابة التقارير. غير أننا حين وصلنا إلى مكان إطلاق السراح، وجدنا أن المتظاهرين كانوا قد احتشدوا للاحتجاج على وجود الولايات المتحدة في العراق. أحكمت ربط غطاء رأسي وفتحت الباب للنزول وأنا أقول لبسام: "اطمئن، لن أتكلم بالإنجليزية." قفز غزوان من مقعد القيادة وأسرع إلي.

همس همساً أشبه بالصفير "عودي إلى السيارة" بالإنجليزية. لم يكن بسام وغزوان مطمئنين إلى الحشد. وعلى الرغم من أنني كنت أغطي رأسي فإنني لم أكن أرتدي **العباءة**، ذلك المعطف الفضفاض الأسود الطويل الذي كان من شأنه أن يخفي هويتي الغربية. مترجمتنا هدى كانت هناك مع مصورة **البوست** أندريا ودول. كانتا، كلتاهما، ملتفتين بعباءتين. اقترحت أندريا إعارتي عباءتها بعد إنجازها لمهمتها إلا أن هدى رأت عدم صواب فكرة تبادل الملابس على الملأ. قبعت في المقعد الخلفي وأنا أشرب الصودا المبردة التي كان غزوان قد سحبها من البراد. همست هدى: "لا تقلقي. سآخذك غداً إلى السوق لشراء عباءة." وهكذا فقد بقيت في المقعد الخلفي للسيارة عاكفة على تسجيل المشهد، تسجيل كل شيء شاهدته، فيما تابع بسام مقابلة المتظاهرين.

لم يكن بسام راسخ القدمين بعد، غير واثق من نفسه في هذا الموقف. كان أصغر مترجمينا سناً، فقط في الرابعة والعشرين مع حلول صيف 2004 وخريج

حديث كان الأول في صفه. كان يفوق عمر الذي تعرضت أسرته للاضطهاد المكشوف من جانب صدام، تمتعاً بالحماية. كانت عائلته أكثر تقليدية من عائلة عمر كان بسام ابناً باراً لم يسبق له أن خطر بباله أن يتكلم ضد أبويه على الرغم من أنه كان سينتهي لاحقاً، مثل عمر، إلى الشجار مع أبويه حول إصراره على التمسك بوظيفته كمترجم، حول رفضه لترك العمل. عمر وبسام كانا زميلين في الكلية والأول هو الذي اصطحب الثاني إلى مكتب **البوست** البغدادي بعيد احتلال الأمريكيين للعاصمة. في البداية بقي راجيف غير واثق من مهارات بسام الإنجليزية ومتوجساً إزاء ما بدا عليه من خجل، إزاء سهولة تجاوزه وإزاحته من الطريق. في الحقيقة كان بسام الابن ـ المواطن المثالي الصامت لعراق صدام حسين. في عهد صدام لم تكن عنده أي طموحات جامحة. تمثل حلمه الوحيد بتأسيس مكتب ترجمة في بغداد بالقرب من إحدى الجامعات أو المدارس. ولأنه لم يكن، مثله مثل أبويه، عضواً في حزب البعث، لم يكن بسام متمتعاً بأي فرصة للعمل في وزارة الخارجية أو أي وزارة أخرى مؤهلة لتوظيف مهاراته الإنجليزية. مُنعت هدى من الوصول إلى وزارة الخارجية للسبب نفسه، على الرغم من أنها كانت قد عاشت خارج العراق لمدة ثماني سنوات لتعمل مترجمة لدى شركات خاصة مختلفة في كل من ليبيا، تونس، والإمارات العربية المتحدة. لم تتوفر لبسام فرصة مماثلة، فمنحه العمل لدى **البوست** كان فرصة لاستخدام مهارته الإنجليزية غير المطورة.

في الحقل القريب من السجن حيث اجتمع المتظاهرون، راح بسام يتجول بين الحشد طارحاً الأسئلة التي كنت قد زودته بها. كان يعود إلي كل ربع ساعة أو نحوه ليقدم تقريره. كنت أزوده بالمزيد من الأسئلة وأعيده إلى الجمهور. لم تكن تلك طريقة مثالية لتغطية الأحداث، غير أنها كانت أفضل ما استطعنا فعله. لم يكن بمقدوري أن أتصور أن قدومي إلى هنا دون حراسة عسكرية سيغدو شديد

الخطورة بعد بضعة أشهر. فمع حلول شهر آب/أغسطس لم نعد قادرين على مجرد الحلم بالذهاب إلى الفلوجة. كان من شأن ذلك أن يكون انتحاراً.

محبطة بنظام المقابلات الخجول والمتردد هذا، طبخت خطة جديدة: تغطية عملية إطلاق السراح من داخل السجن. لم يسبق لأي مراسل آخر أن فعل هذا. كان من شأن الأمر أن يشكل استثناءً جيداً. حين اتصل جونسون ليقول لي إن الجنرال معجب بكتاباتي، علمت أن هذه هي فرصتي. قلت لجونسون ضابطة نبرة صوتي: "اسمع أريدك أن تقنع الجنرال بتمكيني من البقاء ليلاً في أبو غريب. لن أسيء التصرف. سأكون أصيلة كالذهب. أعتقد أنها قصة عظيمة، طريقة عظيمة تتيح للجنرال فرصة عرض صورة السجن الحقيقة كاملة." كان جونسون يعرف أن الأمر كان يهمني أكثر مما يهم الجنرال ولكنه وافق. قال "أستطيع أن أطلب". اتصل في اليوم التالي. كان الجنرال قد وافق. طلب مني جونسون أن أكون في أبو غريب مساء اليوم التالي.

تبادلت الرأي مع راجيف وأبي سيف حول أفضل طرق الوصول إلى هناك. قررنا أن من شأن قيام أحد السائقين بإيصالي مع مصورة **البوست** أندريا أن يكون آمن. كانت هدى قد وفت بوعدها، وصرت صاحبة عباءة للتنكر. قررنا أن الوقت المثالي للذهاب هو حين لا يحتمل أن يكون أحد متسكعاً خارج السجن. كان الغسق هو الوقت المثالي، غير أن أي مزيد من التأخر كان من شأنه أن يعرض السائق الذي يوصلنا لخطر العودة في الليل. تحسباً لاحتمال الوقوع في كمين قرر مهند أن يرافقنا أيضاً مصطحباً بارودة طراز إيه. كي. 47 (AK-47) استبعدنا استخدام إحدى عرباتنا المدرعة لأن من شأنها إثارة قدر مفرط من الفضول. كان لابد من التخطيط لكل شيء بعناية، بدءاً بالمسار المعتمد للخروج من الشيراتون إلى نوعية الحقيبة التي سندخلها معنا، أندريا وأنا، إلى السجن. اتفقنا على وجهي وسادتي الفندق الوسختين لأنهما كانا يبدوان أشبه بأكياس الدقيق المرشحة لأن تكون ملازمة للنساء العراقيات. حاول أبو سيف التأكد من

معرفتي لبضع كلمات بالعربية. راح يعلمني قائلاً: "كرري ما أقوله": **أنا صحفية**. كررت ما قاله: **أنا صحفية**.

يوم الأحد الواقع في 13 حزيران/يونيو 2004 انزلقنا، أندريا وأنا، من السيارة ومشينا إلى داخل أبو غريب تحت سماء وردية. استقبلنا جونسون عند البوابة بنظرة تعبر عن الاستمتاع بهندامنا. تجولنا على أقسام السجن المضاءة بمصابيح كشافة كبيرة. كان المعتقلون المرشحون لإطلاق السراح في صباح اليوم التالي مفصولين عن باقي المعسكر. راح الأقارب والأصدقاء يتبادلون النداءات عبر الأسلاك الشائكة، وسمح الجنود لابن مغادر بأن يودع أباه الذي كان سيتعين عليه أن يبقى. كان الرجلان مقيدي الأيدي واقتيدا إلى جناح صغير حيث تماسكت الأيدي وتحادثا بهدوء.

تعين علينا، أندريا وأنا، أن نتقاسم زنزانة صغيرة بيضاء ناصعة في مستودع كبير، كان مئات من الجنود ممددين على الفرشات لقضاء الليل، منتظرين إعادة المعتقلين إلى أرجاء العراق المختلفة التي كانوا قد أُلقي القبض عليهم فيها. كان الجنود يلعبون الورق وألعاب الفيديو ويقرؤون المجلات، فيما كنا، أندريا وأنا، عاكفتين على التخطيط للطريقة التي كنا سنعتمدها من أجل تغطية أحداث اليوم التالي. ومع أن الجيش كان قد طلى جدران زنزانتنا، فإن الطلاء لم يكن قد أزال تماماً بقع الدم، العرق، القذارة، الوحل. كان صدام يحشر ما لا يقل عن أربعة وستين سجيناً في الفضاء نفسه الذي كان لنا فيه، أندريا وأنا، فرشتين إفراديتين لا يفصل بينهما سوى مسافة ذراع واحدة.

جني. كثيراً ما كان اسمها يفاجئني من لا مكان حين أجد نفسي في مكان يكاد أن يكون غير قابل للتصور. أردت وصف الوضع لها. أردتها أن ترى اللوحات الجدارية ذات الألوان الزاهية المجسدة لصورة صدام الباقية على جدران مجمعات الزنزانات: صدام في زي عسكري أبيض محاط بأسراب من الحمام

الأبيض، مع جبال الشمال الكردي المكللة بالثلوج فوق كتفه الأيسر؛ صدام بظلال داكنة معتمراً قبعة بيضاء مرسوماً على خلفية خليط بين اللونين الأسود والبرتقالي؛ صدام في بدلة داكنة، قام العابثون بطمس عينيه.

أخرجت هاتفي الخليوي ووجهته جنوباً حيث كنت أستطيع الحصول على إشارة. لم تكن معي بوصلة، لذا ظللت أدور منتظرة رؤية صف من الخطوط على الشاشة الرقمية. كانت أجنحة الخفافيش ترفرف في الأضواء الاصطناعية وأنا أتحدث مع جني الموجودة في النصف الآخر من الكرة الأرضية قائلة: "لا يمكنك أن تخمني المكان الذي أنا فيه. أنا في أبو غريب! نعم السجن. أعني أنني في داخل أبو غريب. إنه مرعب يا جني، باعث على القشعريرة. سيتعين علي أن أنام في إحدى الزنزانات. أرفع نظري الآن فأرى هذا الحشد من الخفافيش التي تجعل المكان أكثر رهبةً. غير أنني أكلت سلطة في وجبة العشاء."

مع جني كان بوسعي أن أبدو جاحظة العينين، مبهورة لوجودي في العراق - حزينة، خائفة، منتشية، واقعية. أما في المكتب ومع رؤساء التحرير فكان ثمة توقع تعين علي أن أسوغه وأرتفع إلى مستواه. المراسلون الآخرون كانوا شديدي القسوة. كانوا قد شهدوا الحرب من قبل. كانوا قد شهدوها مرات عديدة. كانوا قد هزموا حكاماً دكتاتوريين، قادة عصابات، وأمراء حروب في أمكنة بعيدة بالغة الغرابة. أما أنا فلم يكن قد سبق لي أن رأيت إلا هذا - العراق. ما كنت لأستطيع أن أتظاهر بأني أكثر خبرة مما كنته. غير أني كنت قادرة، أقله، على إخفاء مدى طراوة عودي عنهم. لم أكن أريد أن أتصرف مثل مهرج التحق بالسيرك للتو. لا، فقد وفرت ذلك لجني.

تدفقت كلماتي رشاً، كما كانت تفعل عندما أكلمها من العراق. حاولت أن اتصل بها مرة على الأقل في اليوم إذا استطعت اقتناص إشارة على شاشة هاتفي الخليوي أو الفضائي. ما من مرة أطلنا فيها المخابرة، خصوصاً عبر

الخط الفضائي الذي كان يكلف بضعة دولارات للدقيقة الواحدة. كنت أتصل لمجرد التفقد، لإسماعها صوتي، لمجرد الحاجة إلى سماع صوتها، عندما أكون مثقلة بمشاهد وأصوات جديدة، مثقلة إلى درجة تدفعني إلى التخفف من بعضها. كان باستطاعتي أن أنقل إلى جني شعوري إزاء الوجود في أبو غريب. كان بوسعي إبلاغها بالجزء الذي يتعذر انتقاله عبر التقارير الإخبارية من القصة.

عدت إلى فراشي في الزنزانة، لم أستطع أن أنام. ظللت أتخيل أشباح المعتقلين الذين كانوا قد ماتوا في تلك الغرفة، ظللت أسمع عويلهم، أصواتهم التي كانت تصبح مبحوحة أخيراً، ثم لا تلبث أن تتلاشى في العدم الذي كان قد سبق له أن أذابهم في بوتقته.

قمنا، أندريا وأنا، باكراً صباح اليوم التالي لمتابعة عملية إطلاق سراح نحو 500 معتقل. اصطف السجناء وفقاً للجهات التي كانوا سينقلون إليها: تكريت هنا، بغداد هناك. كانوا قابضين بقوة على علب العصير والأكياس المنزلية المخيطة من أكياس الوجبات العسكرية البلاستيكية. أكثرهم ادعوا البراءة حيث سألتهم عما اقترفوه حتى سُجنوا، ولمدة زادت على ستة أشهر بالنسبة إلى بعضهم.

اقترح جونسون تمكيني من مراقبة الحافلات وهي تغادر من برج مراقبة كان عامراً بعناصر مشاة بحرية غارقين في بحر من الملل شكوا من عدم رؤيتهم لأي حركة، من عدم إطلاق النار والقتال كما دُربوا. بدلاً من ذلك، كانوا هنا لفترات مناوبة من ثماني ساعات مراقبين الأفق، بحثاً عن أي أثر لأي اضطراب. دلوني على البقعة التي بقيت فيها سيارة فلاح ودان وليمز المحطمة المدروزة بالرصاص العائدة **للبوست** بضعة أيام إلى أن تمكن شخص من المكتب من المجيء لجرها. بقينا هناك في البرج العالي ساعات، ونحن نراقب الحافلات وهي تخرج متدحرجة، والحشد المؤلف من نحو 600 من الأهل وهو يتضاءل ببطء مع تقدم

ساعات الصباح. غزوان وبسام كانا خارج السجن منتظرين خروجنا، أندريا وأنا، أردت أن أنتظر إلى أن تكون أكثرية المتفرجين قد غادرت كي لا نلفت أنظاراً كثيرة.

قررت أندريا تعقب حافلة معتقلين أُطلق سراحهم فقفزت إلى سيارة فيها مصور ومراسل من وكالة الأسوشيتد برس. اتصلت ببسام لإعلامه بأني على الطريق وطلبت من جنود مشاة البحرية في البرج أن يتابعوني للاطمئنان إلى وصولي إلى سيارتي. قلت ذلك بنبرة أوحت كما لو كنت أغادر مسرحاً للتمثيل السينمائي في الولايات المتحدة متأهبة لعبور مرآب سيارات يلفه الظلام.

تابعت رقعة ضيقة بين أسلاك شائكة ممتدة من السجن إلى مرآب صغير قريب من الجبهة. ثمة كان عدد من السيارات الواقفة المكتوية بشمس الظهيرة. لم يبد أحد منتبهاً إلي. مشيت مع محور المرآب متوجهة إلى الشارع الرئيسي. لم أكن أستطيع أن أرى بساماً وغزوان، غير أنني كنت أعلم، استناداً إلى تخابرنا الهاتفي، أنهما كانا ينتظران في سيارة غزوان السيدان الصفراء.

بغتة، اندفع رجلٌ نحوي بسرعة، انقض علي وأمسك بمعصمي بقوة وراح يشدني إلى سيارة ذات لونين برتقالي وأبيض. في البدء نطقت بالعربية "لا، لا، رجاء!" أشرت نحو الطريق العام حيث كان بسام وغزوان مختفيين عن الأنظار. غير أن الرجل ظل يشدني من معصمي. رجل آخر ظهر من ورائي ولفني من خاصرتي. شخص آخر انقض على وجه الوسادة الذي كان معي وفيه حوائجي ورماه جانباً، في البدء لم أستطع تقدير ما كان حاصلاً. ما الذي كنت أتعرض له؟ هل كانوا يحاولون اختطافي؟ نعم، يا للهول! كانوا يحاولون اختطافي! تسارعت دقات قلبي.

كنت قد تجنبت متابعة لقطة ذبح بيرغ على شريط الفيديو الذي كررتْ بثَّه إحدى القنوات الفضائية التلفزيونية العربية. غير أنني تصورت اللقطة الآن. ما كنت لأستطيع تمكين هؤلاء الرجال من إقحامي في تلك العربة.

كنت أحاول أن أتذكر كلمات عبارة "أنا صحفية" باللغة العربية التي كان أبو سيف قد لَقَّنني إياها. عجزت عن تذكر الكلمات. قلت لهم بدلاً من ذلك جراء الرعب: "**أنا نباتية! أنا نباتية!**" سقطت على الأرض ورحت أركلهم. لم أوقفهم. جروني على الأرض، دون أن يكفوا عن محاولة سحبي من يدي. نتزني أحدهم إلى الأعلى، والرجل الذي كان أول من انقض علي مزّق عباءتي. انكشفت السترة الواقية المضادة للرصاص التي يرتديها الأجانب في العراق. صرخ الرجل: "ليست عراقية، ليست عراقية." الويل ثم الويل! لعلهم يظنوني الآن من السي. آي. إيه. سارعت إلى الرد بأعلى ما استطعته من صوت: **واشنطن بوست! واشنطن بوست!** حتى تلك اللحظة حاولت ألا أرفع صوتي. لم أكن أريد لفت أنظار حشد الأقارب الذين كانوا مازالوا ينتظرون المعتقلين، غير أن شجارنا ما لبثت أن أدى، أخيراً، إلى لفت أنظارهم، فتشكل حشد حولي. أين كان بسام؟ أين كان مشاة البحرية الذين كنت أوصيتهم أن يتابعوا مراقبتي إلى أن أصل إلى سيارتي؟ نظرت إلى وجوه الجمهور المحتشد، لم يكن بينهم ولو شخص واحد رآني إنساناً. حاولت التوسل إلى امرأة كانت قريبة، التوسل بالنظرات، فجاء الرد متمثلاً بنظرات تشي بالرغبة في أن تبصق في وجهي. فأنا امرأة أمريكية، لست أفضل من الجندي الأمريكي في صور المعتقلين الذين تعرضوا لسوء المعاملة. ذلك الجندي الذي جر أبناءهن أو أزواجهن العراة النازفين بالرسن.

كانت القنابل تنفجر يومياً تقريباً. كان العراقيون يموتون. كان اللوم يقع على الأمريكيين. لم يكن هذا ما سبق لهم أن تصوروه حين حلموا بالديمقراطية. لم يكن ثمة أي تمييز بين صحفيين أمريكيين من ناحية وجنود ومتعاقدين أمريكيين كانوا قد وعدوا بإيصال الكهرباء ولم يفوا بوعدهم من ناحية ثانية. كانوا يشعرون بأنهم واقعون تحت الاحتلال، وقد كنت أنا جزءاً من ذلك الاحتلال.

رأيت الحوامات تلتهب في السماء، خارجة من السجن، في حين كان مشاة البحرية يتبعونها سيراً على الأقدام موجهين أسلحتهم نحو الحشد وصارخين.

في البدء لم أسمع أي شيء سوى صوتي الذي أصبح مبحوحاً من كثرة تكراري لنداء: **واشنطن بوست! واشنطن بوست!**

ما إن رأى الرجلان اللذان انقضا عليّ جنود المارينز حتى تركاني وتفرق الجميع. هرع بسام ركضاً لدى تفرق الحشد. كان يحاول أن يتبين على نحوٍ أفضل الأمر الذي اجتذب الناس. غير أنه لم يكن قد رآني. أرجوك، كيسي، أومأت إلى بسام، فيما قام جنود المارينز بإعادتنا إلى داخل أبو غريب.

لففت غطاء رأسي محوِّلة إياه إلى ما يشبه الكرة ورميته على الأرض. صرخت بأعلى صوتي: "لم يفد في شيء!" كنت شديدة الغضب من أن يكون شيء ما في شخصي ـ مشيتي، جسمي، حركاتي، أسلوبي ـ كان قد أوحى لهم بأنني أجنبية. استندت إلى حاجز خرساني داخل السجن، شابكة يدي في حجري لمنعهما من الارتجاف. جسمي كله تشنج. نظرت إلى بسام؛ قلت له بإلحاح: "حين نعود إلى المكتب. **قل لهم إنني لم أبك**. قل لهم." كررت طلبي إلى أن وافق. كنت أريد أن يعلموا أنني لم أذعن، لم أستسلم. لم أتعرض للانهيار. لم أصب بأي أذى.

بعد سنة، بعد أن كنت قد عدت إلى واشنطن، قرر جونسون، الذي كان في البنتاغون لفترة استراحة وجيزة من العراق خلال صيف 2005، إطلاعي على الجزء الباقي من القصة. أفاد جونسون بأن الرجل العراقي الذي انقض علي أولاً كان من العاملين في السجن. وقد قال لجنود المارينز فيما بعد إنه ظنني مرتدية حزاماً ناسفاً، الأمر الذي يُحتمل أن يكون قد أدى إلى تفسير الحدبة الإضافية الناتجة عن السترة الواقية. وبعد الحادث بأسبوع واحد قُتل بأيدي المتمردين، ربما أولئك الذين انقضوا علي بعده. بخروجه من السجن وظهوره أمام الحشد كان الرجل قد كشف عن نفسه بوصفه أحد مستخدمي السجن ـ بوصفه كافراً يعمل مع الأمريكيين.

ساورني القلق نفسه بشأن بسام الذي تعين عليه أن يغادر السجن ليطلب من غزوان العودة إلى المكتب دوننا. أرعبتني فكرة أن يكون أحدهم قد تعرف عليه وربطه بالأمريكية التي كان المتمردون قد حاولوا الانقضاض عليها. خلع بسام عن رأسه قبعة البيزبول التي كان يعتمرها طلباً للتخفي؛ لأنه كان يعتمرها خارج السجن. طمأننا المارينز بأنهم كانوا سيراقبونه ويحرسونه.

بعد رحيل غزوان وحده، عرض الجيش علينا، بسام وأنا، إعادتنا إلى بغداد بعربة همفي. كنت في البداية قد رفضت الفكرة بسبب خطر الهجمات على القوافل العسكرية، أما الآن فقد بدا أنه أفضل الخيارات. رافقنا جونسون إلى إحدى القوافل، إلى سيارة همفي خلف صهريج للوقود مباشرة، هدف عملاق متحرك مؤلف من كتلة وقود شديد الاشتعال. على مضض، اندسسنا، بسام وأنا، في مؤخرة العربة. أخرجت مسجلة الأي بود من الكيس وأعطيت بساماً إحدى السماعتين فيما أقحمت أنا السماعة الثانية في أذني.

استمعنا إلى **الكاونتنغ كراوز**، شيء من **بث هارت**، **سيزاريا ايفورا**، وفيما كان المشهد البني القفر يمر خطفاً عبر النافذة، رحت أفكر بأن شاة مسكينة أخرى كان سيتعين عليها الآن أن تموت. فالتقاليد العراقية تقضي بذبح شاة وتوزيع اللحم على الفقراء حين ينجو أحدهم من الموت. قبل أسبوع فقط كنا قد ذبحنا خروفاً حين نجا دان وفلاح من الكمين. أنزلنا الجيش على أحد الحواجز، حيث كان سائق وحارس بانتظارنا لإعادتنا إلى المكتب. على الطريق، رن جرس هاتفي النقال. كان الهاتف هو بَنَتْ متصلاً من واشنطن: "هل أنت بخير؟"

"أنا رائعة، فِل. نعم أنا على ما يرام." أصغيت إلى صوتي، سمعت صوت استجداء وتوسل لم أتعرف عليه. قلت له: "أرجو ألا تطلبوا إعادتي. أريد أن أبقى. أرجو ألا تنهوا مهمتي."

وبعد مخابرة فل اتصلت جني وأنهيت المكالمة. ارتجف صوتي. صرخت: "**لقد حاولوا اختطافي!**" يا للهراء! اختطاف! مع أنني كنت أستطيع إبلاغها الحقيقة التي لم أستطع قولها لفل ـ حقيقة تعرضي لخضة غير أني امتنعت أيضاً ـ لم أقل لها إنني رجوته ألا يعيدني إلى أمريكا. لم أرد أن تعلم أنني كنت شديدة القرب من الإرهاب، شديدة البعد عنها، وعاجزة مع ذلك عن العودة، عاجزة عن إزالة مخاوفها.

لعلني ارتكبت خطأ شبيهاً بأخطاء الأغرار إذ تورطت في مثل تلك الورطة وكدت أقع في الأسر. ربما كان أي مراسل مخضرم صاحب تجربة قد رد على نحوٍ مغاير أو اعتمد خطة مختلفة للخروج من السجن. ربما كان يتعين علي أن آخذ أبا سيف معي. أو أي حارس شخصي آخر. ومع أنني كنت قد تعمقت في دراسة تكتيك مغادرتي مع العاملين العراقيين ومع الجيش، فإن إصراري العنيد على الذهاب إلى السجن والإياب منه دون مرافقة عسكرية هو الذي كان قد أبقاني مكشوفة على الخطر. كنت شديدة الغضب من نفسي.

في الوقت نفسه بدا الموقف في سوريالیته. هل تملكني الرعب؟ نعم بالتأكيد، بعد وقوع الحدث، بعد أن تسنى لي إدراك ما كان يمكن أن يحصل. ومع ذلك فإنني لم أرغب في مغادرة العراق. لم أكن مستعدة للرحيل. لم أكن أريد العودة إلى غرفة الأخبار مهزومة، لأستأنف قتل الوقت من جديد دون إثارة أي اهتمام. ثمة كانت أشياء كثيرة جداً في العراق لم أكن قد رأيتها، ثمة وجوه كثيرة جداً للقصة كنت ما أزال ملزمة بالكشف عنها. كان من شأن الرحيل أن يعني نوعاً من الاستسلام، نوعاً من العزوف، نوعاً من الهروب أمام الإرهاب. في تلك اللحظة سلمت أن المسألة لم تكن حتى مسألة ما إذا كنت راغبة في البقاء. كان يجب علي أن أبقى. وإذا كنت سأبقى، فلم يكن باستطاعتي أن أتوقف عند جملة الاحتمالات المخبأة بين ثنايا قَدَري. عدت إلى الداخل، عدت إلى العمق الذي طالما أسعفني وأبقاني متماسكة، إلى تلك الهوية التي ورثتها عن أبوي الورعين.

وضعت ثقتي بالرب. آمنت بأن هذا هو المكان الذي حللت فيه، في هذه اللحظة من تاريخ العراق، خيراً أكان ذلك أم شراً، وعزمت على احتضان هذا الواقع ومواصلة العيش.

دائماً كنت أعلم أنها هي قبل أن تقول أي شيء، فعبارة "هلو" الصادرة عني كانت تقابل بفترة صمت طويل، بعدها نقرات الهاتف الفضائي وهو يحاول اختزال الأميال الفاصلة بيننا. أحياناً كنت أنتظر لأفسح لها في المجال كي تتكلم؛ أحياناً أخرى، كنت أصرخ بلهفة في الهاتف: "جاكي؟ هذا أنت، يا جاكي؟ هل تسمعينني؟" حين غادرت إلى العراق، وعدت بأن تكثر من الاتصال بي قدر استطاعتها. عادة كنا نتحدث يومياً، مستغلين قدرتها الصحفية على التواصل مع العالم خارج العراق. ولدى إخفاقنا في الاتصال هاتفياً كنا نعمد إلى التراسل الإلكتروني، وعدداً من المرات في اليوم. إحساسي بمدى بعدها عني ساهم في عدم مرور نصف يوم دون اتصال بها إلا نادراً، وكلانا كان يدرك كم كان ثميناً ذلك الامتياز. غير أن ذلك يساهم أيضاً في جعل سفرها إلى العراق يبدو أقرب، أيسر مما كان في الحقيقة. أقله بالنسبة إلي. طالما كنت قادرة على الوصول إليها، فقد بقيتْ في متناول يدي.

غير أن هذه المخابرة كانت مختلفة. فترة الصمت أطول، أثقل، قبل أن أسمع صوتها وهي تهمس: "جني!"

سألتها، متكئة على مَجْلَى المطبخ حيث كنت أغسل أطباق طعام الفطور، داعمة نفسي لأتمكن من الصمود أمام أي خبر أسود قد تكون موشكة على إطلاعي عليه: "ما الخطب؟" تعرفت على تلك النبرة، تلك

الطريقة التي لَفَّتْ بها أحرف اسمي حول شهقة تكاد أن تكون مخنوقة؛ قالت: "أحدهم حاول اختطافي."

انخلع عالمي من مكانه. رغم أنني سمعت ما قالته في المرة الأولى، قلت لها: "قولي ذلك مرة أخرى!" قوليها للمرة الثانية والثالثة والرابعة. قوليها إلى أن أبدأ بامتلاك القدرة على التوفيق بين هذا الصباح الكنتيكتي المشرق، هذا الصباح السعيد والغافل وبين عالمك أنت في العراق. تابعت كلامها: "قاتلتُ مثل كلبة" وقد ساهمت الرواية في شد براغي صوتها المتداعي. "واصلتُ الركل والزعيق حتى أنقذني المارينز أخيراً."

حاولت تصور الموقف: أختي الناحلة، على الأرض، يداها تنغرزان في قذارة شخص آخر، وهي تكافح طلباً للحرية.

تمتمتُ: "لا أفهم ما تقولينه."

ردت متحولة إلى اعتماد أسلوب وقائي قائلة: "سأكون على ما يرام. غادرنا السجن ونحن الآن..." صمتت، قاطعها صوت مرتفع، ثم قالت: "لا، يا إلهي!" قبل أن يطقطق الهاتف ويلوذ بالصمت.

كنت واقفة أمام حوض المجلى، حيرى، لا أعرف ما يمكنني أن أفعله، كيف أتعامل مع هذا الصباح، هذا النهار، الجزء الباقي من عمري؟

ستمر ساعات طويلة، ثقيلة قبل أن تعاود الاتصال، وعندئذ كانت ستصبح شخصية جديدة، مصممة، رابطة الجأش، بعيدة، نعم أبعد من أي وقتٍ مضى.